(تفسيرُ الشَّيخِ البرَّاك)

القارئ: أعوذُ باللهِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠) أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (١٩٢) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ} [الأعراف:١٨٩-١٩٣]

الشيخ: إلى هنا، لا إله إلَّا الله

يخبرُ -سبحانَهُ وتعالى- عن مبدأِ هذا الجنسِ من الخلقِ وهم البشرُ، يقولُ سبحانَهُ: {هُوَ} يعني اللهُ سبحانَهُ {خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} وهو آدمُ وجاءَ هذا في آيةٍ أخرى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [النساء:١] من نفسٍ واحدةٍ، هذه البشريَّةُ المتكاثرةُ ترجعُ إلى نفسٍ واحدةٍ فهي مثلُ، هذهِ النفسُ الواحدةُ مثلُ البذرة، الحبَّةُ الَّتي تنتجُ الحبوبَ الكثيرةَ والمئاتَ والألوفَ، يقولُ في الآيةِ الأخرى {وَبَثَّ مِنْهُمَا}، {وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً} [النساء:١]، وقالَ هنا: {وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا} خلقَها من آدمَ، خلقَ زوجَ..، زوجَ آدم، زوجه يعني امرأتَه، خلقَ منها زوجَها، ومن حكمةِ ذلك أن تكونَ له سكنًا يأنسُ بها، لأنَّها من جنسه، يأنسُ بها ويستمتعُ بها، وهكذا في ذريتِهِ يمتنُّ تعالى على عباده ويذكِّرُهم أنَّ هذا من آياتِه {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ}، {خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا} [الروم:٢١]، فالغايةُ واحدةٌ، خلقَ اللهُ الإناثَ ليكنَّ سكنًا للرجال {مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الروم:٢١].

{فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا} وهذا التغشِّي هو الوطءُ وينشأُ عنه الحملُ، وهذه سنَّةُ البشريَّةِ فخلق البشريَّة، بدأَها بنفسٍ واحدةٍ وبزوجِها فخلقَ جنسَ البشريَّةِ من ذكرٍ وأنثى ثمَّ خلقَ كلَّ فردٍ، كلُّ فردٍ من البشريَّةِ من ذكرٍ وأنثى البشريَّة بأسرها أصلها ونشأتها من بينِ ذكرٍ وأنثى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى} [الحجرات:١٣]، فالبشريَّةُ في جملتها هي من ذكرٍ وأنثى ثمَّ كلُّ فردٍ هو من ذكرٍ وأنثى {حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا} والحملُ أوَّلُ ما يكونُ خفيفًا ليسَ بشيءٍ تَمُرُّ به المرأةُ وتمشي لا يضرُّها لكنَّه إذا نما وتطوَّرَ ثَقُلَ عليها {فَلَمَّا أَثْقَلَتْ} قالَ اللهُ: {دَعَوَا}، {دَعَوَا اللَّهَ} يعني الزوجان، {دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} أمَّا النفسُ والزوجُ فهما آدمُ وحواءُ بلا ريبٍ، وقيلَ إنَّ المعنى متصلٌ وأنَّ اللذان..، الَّذَيْن دَعَوَا ثُمَّ، {فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ} أنَّه آدمُ وحواءُ وأنَّ الشيطانَ

أضلَّهما وزيَّنَ لهما، لما جاءَهما الولدُ قالَ لهما سمّياهُ عبد الحارث وخوف حواء، وذكرَ المفسّرون أخبارَهم في هذا المعنى فيكونُ مقتضى ذلك أنَّ قوله: {فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا} أنَّ المرادَ آدمُ وحواءُ، وقيلَ في القولِ الثاني أنَّ أوَّلَ الآيةِ في شخصِ آدم وحواء وأمَّا آخرُها ففي، المرادُ جنسُ البشريةِ فانتقلَ السياقُ من الشخصِ إلى الجنسِ فأوَّلُ الآياتِ في شخصِ آدم وحواء، وآخرُها في شأنِ الذريَّة فالذريةُ هم الذين كانَ منهم ما كانَ وكانَ منهما الشركُ ولهذا استمرَّ السياقُ {جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠) أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ}.

وقولُه: {لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا} يعني في خلقتِه، في خلقِه، المرادُ صلاحُ، صلاحُ الخلقِ، أن يكونَ سويًّا بريئًا من العيوب، لا عيبَ فيه {فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا} أشركا بالله، لما أنعمَ اللهُ عليهما وأجابَ دعاءَهما لم يستقيما {لَئِنْ آتَيْتَنَا ... لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} وممَّا حدثَ في البشريَّةِ أنَّ المشركين، بعضُ المشركين يقتلونَ أولادَهم تقرُّبًا إلى أوثانِهم {وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ} فكفرُ هذه النعمةِ، نعمةُ الولدِ -سبحان الله العظيم- وهذا من تلاعبِ الشيطان ببني آدم فالشيطانُ يزيّنُ لبني آدمَ أمورًا مناقضةً للفطر والعقول، يزيّنُ لهم عبادةَ غيرِ الله، يزيّنُ لهم قتلَ النفوسِ، قتلَ الأولادِ ويحرمونَ عليهم ما لم يحرّمه اللهُ، كما ذكَر في سورةِ الأنعامِ، قال تعالى: {جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}.

ثمَّ قالَ تعالى: {أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا} فهذهِ المعبوداتُ الَّتي يعبدونها ويتقرَّبونَ إليها حتَّى بقتلِ أولادهم هي لا تخلقُ شيئًا وهي مخلوقةٌ {أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ}.

ثمَّ قالَ تعالى: {وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ} هذا يخبرُ تعالى عن إصرار المشركينَ على شركِهم وعدمِ، وأنَّهم لا يستجيبون وأنَّهم صمٌّ عن قبول الحقِّ {وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ} هذا يشبهُ قولَهُ تعالى: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}.

نعم يا محمَّد.

(تفسير السعدي)

القارئ: بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ، الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، والصَّلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ، قالَ الشيخُ عبدُ الرحمنِ السعديُّ –رحمَهُ اللهُ تعالى–:

أي: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ} أيُّها الرجالُ والنساءُ، المنتشرونَ في الأرضِ على كثرتِكم وتفرُّقِكم. {مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} وهو آدمُ أبو البشرِ –صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ–

الشيخ: صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ

القارئ: {وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا} أي: خلقَ مِن آدمَ زوجتَهُ حواءُ لأجلِ أنْ يسكنَ إليها لأنَّها إذا كانَتْ منهُ حصلَ

الشيخ: لأنَّه؟

القارئ: لأنَّها إذا كانَتْ منهُ حصلَ بينَهما مِن المناسبةِ والموافقةِ

الشيخ: لأنَّها من جنسِهِ، وهذهِ سنَّةُ اللهِ أنْ يكونَ التزاوجُ بين يعني فردين من جنسٍ، التزاوجُ إنَّما يكون في الجنسِ الواحدِ

القارئ: حصلَ بينَهما من المناسبةِ والموافقةِ ما يقتضي سكونَ أحدِهما إلى الآخرِ، فانقادَ كلٌّ منهما إلى صاحبِهِ بزمامِ الشهوةِ. {فَلَمَّا تَغَشَّاهَا} أي: تجلَّلَها مجامعًا لها قدَّرَ الباري

الشيخ: تجللها

القارئ: تجلَّلَها مجامعًا لها قدَّرَ الباري أنْ يُوجدَ مِن تلك الشهوةِ وذلك الجماعِ النسلَ، وحينئذ {حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا}، وذلكَ في ابتداءِ الحملِ، لا تحسُّ بهِ الأنثى، ولا يثقلُها. {فَلَمَّا} استمرَّتْ بهِ و {أَثْقَلَتْ} بهِ حينَ كبرَ في بطنِها، فحينئذٍ صارَ في قلوبِهما الشفقةُ على الولدِ، وعلى خروجِهِ حيًّا، صحيحًا، سالمًا لا آفةَ فيهِ كذلكَ فدعوا

الشيخ: فصارتْ عندَهما الشفقةُ، نعم، الشفقةُ على الولدِ، أيش بعدَها؟

القارئ: فحينئذٍ صارَ في قلوبِهما الشفقةُ على الولدِ، وعلى خروجِهِ حيًّا، صحيحًا، سالمًا لا آفةَ فيهِ كذلكَ فدعوا {اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا} ولدًا {صَالِحًا} أي: صالحُ الخلقةِ تامُّها، لا نقصَ فيهِ {لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ}

الشيخ: لا إله إلَّا الله

القارئ: {فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا} على وفقِ ما طلبَا، وتمَّتْ عليهما النعمةُ فيهِ {جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا}

أي: جعلَا للهِ شركاءَ في ذلكَ الولدِ الَّذي انفردَ اللهُ بإيجادِهِ والنعمةِ بهِ

الشيخ: {جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ} نعم، أيش؟

القارئ: أي: جعلَ للهِ، **أي: جعلَا للهِ شركاءَ في ذلك الولدِ**

الشيخ: نعم

القارئ: **الَّذي انفردَ اللهُ بإيجادِهِ والنعمةِ بهِ، وأقرَّ بهِ أعينَ والديهِ، فَعَبَّدَاهُ لغيرِ اللهِ.**

الشيخ: عَبَّدَاهُ لغيرِ اللهِ

القارئ: **إمَّا أنْ يسمِّيَاهُ بعبدِ غيرِ اللهِ كـ "عبدِ الحارثِ" و "عبدِ العزيزِ"**

الشيخ: أيش؟! عُزَيْر

القارئ: العندي: و **"عبدِ العزيزِ"**

الشيخ: عزيز؟

القارئ: نعم

الشيخ: لا لا

طالب: عبد العزَّى

الشيخ: أو عبد العزَّى، نعم، عبد العزَّى

القارئ: خطأ يعني عبد العزيز؟

الشيخ: إي لا، العزيز! عبد العُزَيْر أو عبد العزيز أو عبد العزَّى، نعم، عبد العزَّى موجودٌ عندَ العربِ

القارئ: **و "عبدِ العزَّى" و "عبدِ الكعبةِ" ونحوِ ذلك**

الشيخ: أهلُ الجاهليَّةِ يسمُّون هكذا

القارئ: **أو يشركا باللهِ في العبادةِ**

الشيخ: أو؟

القارئ: **أو يشركا باللهِ في العبادةِ، بعدَما منَّ اللهُ عليهما بما منَّ مِن النعمِ الَّتي لا يحصيها أحدٌ مِن العبادِ**

الشيخ: يشركانِ باللهِ في العبادة ويحملانِ الولدَ أيضًا على الشركِ (فأبواهُ يهوِّدانهُ أو ينصِّرانهُ أو يمجِّسانهُ)

القارئ: **وهذا انتقالٌ من النوعِ إلى الجنسِ**

الشيخ: وهذا انتقالٌ مِن؟

القارئ: مِن النوعِ إلى الجنسِ

الشيخ: مِن النوعِ، لا إله إلَّا الله، لا إله إلَّا الله، نعم، المناسبُ من الشخص، لأنَّ آدمَ وحواءَ شخصان معيَّنان

القارئ: فإنَّ أوَّلَ الكلامِ في آدمَ وحوَّاءَ

الشيخ: وهما وهما شخصانِ معيَّنان، وهما وذريَّتُهما كلُّهم جنسٌ واحدٌ، هما آدمُ وحواءُ كلُّهم وذريَّتُهما كلاهما جنسٌ واحدٌ وهما نوعٌ من أنواعِ المخلوقاتِ

القارئ: ثمَّ انتقلَ إلى الكلامِ في الجنسِ

الشيخ: نعم

القارئ: ولا شكَّ أنَّ هذا موجودٌ في الذريَّةِ كثيرًا

الشيخ: يعني الشركُ يعني الشرك، ولا ريبَ أنَّ هذا موجودٌ في الذريَّةِ كذلك يعني الشرك

القارئ: فلذلكَ قرَّرَهم اللهُ على بطلانِ الشركِ، وأنَّهم في ذلكَ ظالمونَ أشدَّ الظُّلمِ، سواءٌ كانَ الشركُ في الأقوالِ، أم في الأفعالِ، فإنَّ الخالقَ لهم مِن نفسٍ واحدةٍ، الَّذي خلقَ منها زوجَها وجعلَ لهم من أنفسِهم أزواجًا، ثمَّ جعلَ بينَهم مِن المودَّةِ والرحمةِ ما يسكنُ بعضُهم إلى بعضٍ، ويألفُهُ ويلتذُّ بهِ، ثمَّ هداهم إلى ما بهِ تحصلُ الشهوةُ واللَّذَّةُ والأولادُ والنسلُ. ثمَّ أوجدَ الذرِّيَّةَ في بطونِ الأمَّهاتِ، وقتًا موقوتًا، تنشافُ إليهِ نفوسُهم، ويدعونَ اللهَ أنْ يخرجَهُ سويًّا صحيحًا، فأتمَّ اللهُ عليهم النعمةَ وأنالَهم مطلوبَهم. أفلا يستحقُّ أنْ يعبدوهُ، ولا يشركوا بهِ في عبادتِهِ أحدًا، ويخلصُوا لهُ الدِّينَ. ولكنَّ الأمرَ جاءَ على العكسِ، فأشركُوا باللهِ مَن لا {يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ}.

{وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ} أي: لعابديها {نَصْرًا وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ}. فإذا كانَتْ لا تخلقُ شيئًا، ولا مثقالَ ذرَّةٍ، بل هي مخلوقةٌ، ولا تستطيعُ أنْ تدفعَ المكروهَ عن مَن يعبدُها، بل ولا عن أنفسِها، فكيفَ تُتَّخذُ معَ اللهِ آلهةً؟ إنْ هذا إلَّا أظلمُ الظُّلمِ، وأسفهُ السفهِ. وإنْ تدعوا، أيُّها المشركونَ هذهِ الأصنامَ

الشيخ: أيش؟

القارئ: وإنْ تدعوا، أيُّها المشركونَ هذهِ الأصنامَ، الَّتي عبدْتُم مِن دونِ اللهِ

الشيخ: وإنْ تدعوهم، نعم، وإنْ تدعوهم

القارئ: أيُّها المشركونَ هذه الأصنامَ، الَّتي عبدْتُم مِن دونِ اللهِ {إِلَى الْهُدَى لا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ}.

فصارَ الإنسانُ أحسنَ حالةً منها

الشيخ: الشيخُ فسَّرَ قولَه تعالى: {وَإِنْ تَدْعُوهُمْ}، {وَإِنْ تَدْعُوهُمْ} أيش بعدها؟ اقرأْ الآيةَ

القارئ: وإنْ تدعوا، أيُّها المشركون

الشيخ: لا، الآية الآية.. {وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ}

القارئ: {أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ}

الشيخ: ظاهرُ الآيةِ أنَّ الخطابَ للرسولِ والمؤمنينَ وأنَّكم إنْ تدعوا المشركينَ إلى الهدى لا يتَّبعوكم ولا يستجيبونَ لكم {سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ} كقولِهِ: {أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ} والشيخُ توجَّهَ إلى أنَّ قولَه: {وَإِنْ تَدْعُوهُمْ} أنَّ الخطابَ للمشركين وأنَّكم إن تدعوا هذه الأصنامَ لا تستجيبُ لكم مثل {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو}، {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ} [الأحقاف:٥] الشيخُ جعلَ هذه من جنسِ الآية الأخرى والأظهرُ هو الأوَّلُ لقوله: {وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى} والمشركون لا يدعون إلى الهدى، نعم، واللهُ أعلمُ

القارئ: فصارَ الإنسانُ أحسنَ حالةً منها

الشيخ: نعم، أيش يقول؟

القارئ: وإنْ تدعوا، أيُّها المشركونَ هذهِ الأصنامَ، الَّتي عبدْتُم مِن دونِ اللهِ {إِلَى الْهُدَى لا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ}.

فصارَ الإنسانُ أحسنَ حالةً منها، لأنَّها لا تسمعُ، ولا تبصرُ، ولا تهدِي ولا تُهدَى، وكلُّ هذا

الشيخ: ولا تهدِي

القارئ: ولا تهدِي ولا تُهدَى، وكلُّ هذا إذا تصوَّرَهُ اللبيبُ العاقلُ تصوُّرًا مجرَّدًا، جزمَ ببطلانِ إلهيَّتِها، وسفاهةِ مَن عبدَها. انتهى.

الشيخ: أحسنْتَ، لا إله إلَّا الله، لا إله إلَّا الله، سبحانَ الله.